حكايات نحبها جميعاً

٦

لقد أنزل الله فيك قرآناً

الدكتور

محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

obeikandl.com

الطبعة الأولى
2006 - 1426

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

obeikandl.com

سَهرةٌ إيمانيَّةٌ مُبارَكَةٌ

لَيلَةُ الأربعاءِ المَاضِي تقدَّمَ (أبو نوَّاف) بدَعْوةِ أخيهِ وعائلتهِ (الأُستاذ ناجِي) إلى وَجبةِ الإفطارِ... ، وألحَّ في الدَّعوةِ..

وبِالفَعْلِ قامَ الأُستاذُ معَ زَوْجَتِهِ والأَولادِ بالاستِعدادِ للذَّهابِ إلى بيتِ أَبِي نَوَّاف.

ولمَّا اقتربَ المَوْعِدُ ، انطلقُوا في سيَّارَتِهم الخَضراء باتِّجاهِ حيِّ النَّسيمِ ، ولمّا وصلوا ، وجَدُوا أولادَ عَمِّهِمْ يَنْتَظِرُونَ على بابِ البَيتِ ، وكانَ تَرحيباً حارّاً فَلقَدْ مضَتْ عِدَّةُ شُهُورٍ ولَمْ يَلْتَقِ الأقرِباءُ علىٰ المَحَبَّةِ والودِّ..

obeikandl.com

ولمَّا دَخَلُوا إِلَىٰ البَيتِ.. وأَخذَ كُلُّ وَاحدٍ مِنْهُمْ مَكَانَهُ.. راحُوا يتناقَشُونَ حولَ قضايا عَامَّةٍ ، ثمَّ تَحَوَّلَ الحَديثُ إلىٰ اقتِرَاحاتٍ تَدُورُ حَوْلَ إِحياءِ تِلْكُمُ اللَّيْلَةِ المُبارَكَةِ ، وهيَ لَيْلَةُ القَدْرِ..

وتَمَّ الاتِّفاقُ على اقتراحِ الشَّابِّ الذَّكيِّ (عَمرو) وهُوَ أَنْ يَذْهَبُوا إلى مَسجدِ التَّوبةِ ، فَمِنَ المُعتادِ أَنْ تُقامَ فيهِ سَهرةٌ إِيمانِيَةٌ مُبَارَكةٌ ، ويَحضُرُها الرِّجَالُ والشَّبابُ والأطفالُ ، وتُلقَى فيها كَلِمَاتٌ هَادِفَةٌ ، ويُنْشِدُ المُنْشِدُونَ قَصائِدَهُمُ الرّائعةَ في مَدْحِ الذَّاتِ العَلِيَّةِ.. وفي مَحَبَّةِ المُصْطَفى ﷺ...

وهَكَذا كَانَ ، فبَعدَ تَناوُلِ أَطايِبِ الطَّعامِ علىٰ مائِدَةِ الإِفْطَارِ ، ثُمَّ أَداءِ صَلاةِ المَغربِ.. ثُمَّ العِشاءِ.. والتَّراويحِ.. وذلكَ في مسجدِ الحَيِّ

الصَّغيرِ.. رَكبَ (أَبو نَوَّاف) وَأولادُهُ وزَوْجُهُ في سَيَّارَتِهِمُ الزَّرْقَاء ، بينَما رَكِبَ أخُوهُ الأُستاذُ ناجِي وعائِلَتُهُ في سَيَّارَتِهِم الخَضْراء ، وانْطَلقُوا على بَرَكَةِ اللهِ إلىٰ مَسجدِ التَّوبةِ.

وأمَامَ بابِ المَسجدِ قالَتْ (نَاهدُ): ما شَاءَ الله ، إنَّهُ بِنَاءٌ فَخْمٌ ونظيفٌ ، وهُنَا على هَذَا البَابِ كُتبَ بالخَطِّ العَريضِ: (مُصلَّى الرِّجال) وهُنَاكَ عَلَىٰ البَابِ المُقابِلِ كُتبِ (مُصَلَّى النِّساءِ)..

قالَ (أَبُو نوَّاف): هَذا المَسجِدُ يُعتَبَرُ منْ أَضْخَمِ المَساجِدِ وأوسَعِها ، وقدْ مَوَّلَهُ أحدُ المُوسِرِينَ بِمفرَدِهِ ، جَزَاهُ اللهُ عَنِ الأُمَّةِ كُلَّ خيرٍ..

وتَخَلَّلَ الاحتِفالَ الرّمضَانِيَّ مُسابَقاتٌ ثَقافِيَّةٌ ، شَارَكَ فيهِ الجميعُ ، وكانَتْ الفائدةُ عَامَّةً ، حيثُ وُزِّعَتْ بعضُ الجَوائِزِ العَينيَّةِ والنَّقدِيَّةِ.. ، وكانَ نَصيبُ (نَاهد) وأُخْتِهَا

(نَعيمة) مُتَواضِعاً، حَيثُ لَمْ تَعْرِفْ (نَاهدٌ) شَيئاً عَنْ تَرجمةِ واحدةٍ مِنْ صَحابيّاتِ المُصْطَفَىٰ ﷺ، وهيَ السَّيِّدَةُ (خَوْلَةُ بنتُ ثَعلَبَة)، وَقدْ حَزِنَتْ لِذلِكَ وتَمنَّتْ لو أَنَّها أسْرَعَتْ في مَشْرُوعِها الثَّقافِيِّ، وهو كِتابةٌ مُوجَزَةٌ عن عَدَدٍ مِنْ رِجَالاتِ الصَّحابةِ وعَدَدٍ مِنْ نِسَائِهم..

لِذلكَ قَرَّرَتْ فِي تِلْكُمُ السَّهْرَةِ أَنْ تُضاعِفَ جُهُودَهَا، وتجدَّ وتَسعَىٰ في سَبِيلِ تَجميعِ المَعلوماتِ الوَافِيةِ والمُوثَّقةِ عن تلكُمُ الكَوكَبةِ التي وَصَفَها اللهُ بأَوْصَافٍ رائعةٍ فيها العُجَابُ، مِنْها قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ

ٱلْكُفَّارُ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفَتْح: ٢٩] .

وأمَّا الطَّالبةُ (مُنْتَهَى) فَقَدْ نالَتِ الجَائِزَةَ الأولىٰ فِيما يختَصُّ بأسْئِلَةِ سِيرَةِ سَيِّدِ الأَنَامِ عليهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ..

كَيفَ لا؟ وَوَالدُها (أَبو نَوَّاف) لَهُ اهتمامٌ واضحٌ بِكُلِّ ما يتعَلَّقُ بالرَّسُولِ وسيرَتِهِ وسُنَّتِهِ، شِعارُهُ في ذَلِكَ كُلِّهِ قولُ اللهِ تَعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١] .

وأمَّا الشَّبابُ ـ أَوْلَادُ أَبي نَوَّاف مَعَ أَبناءِ عَمِّهِمْ (الأُستاذ ناجي) ـ فَقَدْ سُعِدُوا بِفِرقَةِ الأناشِيدِ الدِّينيَّةِ، والتي قدَّمَتْ أَداءً رائعاً جدّاً.

وبعدَ تَوزيعِ الهَدَايا عَلىٰ المُشاركينَ في

المُسابَقاتِ ، قامَ واحدٌ مِنَ المُحسِنين وطلبَ مِنَ الشَّيخِ متولّي عَرِيفِ الحَفْلَةِ بأَنْ يَأذَنَ لَهُ بِالكَلامِ وَلَوْ لِمُدَّةِ عَشرِ دَقائِقَ ، ولمَّا أَلحَّ في ذلكَ قالَ الشّيخُ: لا بَأسَ ما دامَ اللَّيْلُ لَمْ يَنْتَصِفْ بَعد ، وما زَالَ الجَميعُ في شوقٍ واسْتِعدَادٍ للمَزيدِ..

ووقَفَ أَبُو عِمَاد فَشَكَرَ القائِمينَ علىٰ هَذهِ الحَفْلَةِ المُفِيدَةِ ، وشَكرَ كُلَّ المُشارِكينَ أيضاً ، وشَكرَ إِدَارَةَ المَعهدِ فِي المسجدِ علَىٰ الإِعْدَادِ الكَبيرِ لِهٰذَا اللِّقاءِ المُبارَكِ ، ثُمَّ قال: أيُّها الأحبَّةُ! لِي رَجاءٌ واحِدٌ ، وهُوَ أَنْ تَتَقبَّلُوا مِنِّي هَديَّةً مُتَواضِعَةً ، وَفِي هذهِ اللَّيْلَةِ المُبارَكَةِ ، وهي كُتَيِّبٌ صَغيرٌ يبحَثُ فِي كَيفيَّةِ محبَّةِ المُسْلِمينَ للمُصْطَفَىٰ ﷺ ، فإِنْ وجدْتُمْ فِيهِ فائدةً فلا تَنْسونِي منَ الدُّعاءِ ، وإِلاّ فاعذُرونِي والسَّلامُ..

إلىٰ الصَّرحِ العِلميّ

وَفِي صِبِيْحَةِ اليَومِ الثَّاني انْطَلَقَتْ (ناهدٌ) إلىٰ المَكْتَبَةِ التَّارِيخِيَّةِ ، ولمَّا رأتْهَا والدتُها ، قَالَتْ لهَا: إلَى أَيْن يا عَزِيْزَتِي ، فَالوقتُ ما زَالَ مُبَكِّراً ، وأَنتِ لَمْ تَنامِي جَيِّداً؟!

هَزَّتْ (ناهدٌ) رَأسَها وقالَتْ: يا وَالِدَتِي ، الوَاجِباتُ أَكثَرُ مِنَ الأوقَاتِ ، ونَحْنُ مُقَصِّرُونَ كَثِيراً ، وما زِلْنَا بِحَاجةٍ ماسَّةٍ إلى المُطَالَعَةِ والكِتَابَةِ.. ، وسَيأتِي اليَومُ الذي سنَنَامُ فِيهِ نَوْماً عَمِيْقاً.. ودَمَعَتْ عَينَاهَا.. ودَمَعَتْ عَينا وَالِدَتِهَا... فَالمَوْتُ ، والقَبْرُ ، وما وَراءَ ذلكَ فِيه العِبَرُ والعِظَاتُ ، ثُمَّ قالَتْ وَالِدَتُها: صَدَقْتِ يا بُنَيَّة ، ورَحِمَ اللهُ الشَّاعِرَ أَحْمَدَ شَوْقِي عِنَدما قالَ:

دَقَّاتُ قَلبِ المَرءِ قائلةٌ لَهُ:

إِنَّ الحَيـاةَ دَقـائِـقُ وثَـوانِ

فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ بعدَ مَوْتِكَ ذِكْرَهَا

فَالذِّكْرُ للإِنسانِ عُمرٌ ثانِ

فابتَسَمَتْ (نَاهِدٌ) وقالَتْ: ورَحمَ اللهُ من قالَ:

يا طَوِيلَ الرُّقادِ والغَفَلاتِ

كَثرةُ النَّومِ تُورِثُ الحَسَراتِ

إِنَّ فِي القَبْرِ إِنْ نَزَلْتَ إِليه

لَـرُقَـاداً يَطُـولُ بعـدَ المَمَـاتِ

إِنَّها تُجادِلُ المُصْطَفَى ﷺ

وفي المَكتبةِ لَخَّصَتْ (ناهدٌ) من بَعضِ المَصادِرِ وَالمَراجِعِ مُلخَّصاً عَنْ تَرجمةِ حَياةِ السَّيدةِ (خَولة بنت ثعلبةَ) رضيَ الله عنها، وكانَ كما يَلي:

كانَ أَهْلُ الجاهليَّةِ إذا قَالَ الرَّجُلُ لِزَوْجَتِهِ: أَنْتِ عَليَّ كَظَهْرِ أُمِّي ، يعتَبِرُونَ ذلكَ أَشَدَّ مِنَ الطَّلاقِ!

وفي المَدينةِ المُنوَّرَةِ قَالَ الصَّحابيُّ (أوسُ بنُ الصَّامِت) لِزَوجَتِهِ (خَولة) ذلكَ القَوْل، فانْطَلَقَتْ إلى رسولِ الله ﷺ تَشكُو إليهِ الأَمْرَ.

وراحَ الرَّسولُ ﷺ يُخفِّفُ مِنْ حِدَّةِ حَماسِها ، وهيَ تُجادِلُ فِي ذلكَ ، حتَّى أنزلَ اللهُ تعالى آياتٍ فِي سُورَةِ المُجَادِلَةِ لِيَكُونَ ذلكَ دُستُوراً إلهِيَّاً في تلْكُمُ المَسْأَلةِ ، ولِيُخلِّد ذِكْرَ (خولة) معَ خُلُودِ القُرآنِ الكريمِ.

قالَتْ: فِيَّ ـ واللهِ ـ وفي زَوْجِي أوس بن الصَّامت أَنْزَلَ اللهُ صَدْرَ سُورَةِ المُجَادِلَةِ ، كُنْتُ عِنْدَهُ وكانَ شَيخاً كَبيراً قَدْ ساءَ خُلُقُهُ وضَجِرَ ،

فَدخلَ عَليَّ يَوْماً فَراجَعْتُهُ بِشيءٍ فَغَضِبَ ، وقال: أَنتِ عليّ كظَهْرِ أُمِّي.

ثُمَّ خرجَ فَجَلَسَ في نَادِي قَومِهِ ساعَةً ، ثُمَّ دَخلَ عليَّ فَإذا هُوَ يُراوِدُني عَنْ نَفسِي ، فَقُلْتُ لَهُ: كَلاَّ وَالذِي نَفسِي بِيَدِهِ ، لا تَخْلُصُ إِلَيَّ وقَدْ قُلْتَ ما قُلْتَ حتَّى يَحْكُمَ اللهُ ورَسُولُهُ فِينَا.

وتَرَكْتُهُ وخَرجتُ حَتَّى جئتُ رَسولَ اللهِ ﷺ ، فَجَلَستُ بينَ يَديهِ ، فذَكَرْتُ لَهُ ما لَقِيْتُ مِنْهُ ، وجَعَلْتُ أَشْكُو إليهِ ما أَلْقَى مِنْ سُوءِ خُلُقِهِ ، فَجعلَ رَسولُ اللهِ ﷺ يقولُ: «يا خَوْلَةَ بنتَ ثعلَبة! ابنُ عَمِّكِ شَيخٌ كبيرٌ فاتَّقِي الله فِيه».

قالَتْ: فَواللهِ ما بَرِحْتُ حَتَّىٰ نَزَل فِيَّ قُرآنٌ ، فتَغَشَّىٰ رَسولُ اللهِ ما كانَ يَتَغشَّاهُ ، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ. فقالَ لِي: «يا خَوْلَةُ قَدْ أَنْزَلَ اللهُ فِيْكِ وفِي صاحِبِكَ قُرآناً».

ثُمَّ قَرَأَ عَليَّ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝١ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٢ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ١ ـ ٤] .

ثُمَّ قالَ: «مُرِي زَوجَكِ فَلْيُعْتِقْ رَقَبَةً».

فَقُلْتُ: يا رسولَ اللهِ! ما عِنْدَهُ ما يُعْتِقُ.

قالَ: «فَلْيَصُمْ شَهرين مُتتابِعَين».

فَقُلْتُ: واللهِ إِنَّهُ لشيخٌ كَبِيرٌ ما بِهِ مِنْ صِيَامٍ.

قالَ: «فَلْيُطْعِمْ سِتِّينَ مِسْكِيناً وَسْقاً ـ وعاءً ـ مِنْ تَمْرٍ».

فقالَ: «فإنَّا سَنُعِيْنُهُ بِعذقٍ مِنْ تَمرٍ».

فَقُلْتُ: يا رسولَ الله! وأنا سَأُعِيْنُهُ بِعذقٍ آخر.

فقال: «قَدْ أَصَبْتِ وأحسَنْتِ ، فاذْهَبِي فَتَصدَّقِي بِهِ عَنْهُ ، ثُمَّ اسْتَوْصِي بِابنِ عَمِّكِ خَيراً».

قالَتْ: فَفَعَلْتُ!!

أَوَ تَدْرِي مَنْ هذهِ؟!

ودَارَ الزَّمنُ دَورتَهُ ، وبَينَما كَانَ أميرُ المُؤمنين عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَسيرُ معَ (الجَارُودِ العَبْدِي) إِذْ مَرَّتِ امرَأَةٌ فَسلَّمَتْ عليهِ ، ثُمَّ وقفتْ مَعَهُ، وأطَالَ الوُقُوفَ ، وهِيَ تَعِظُهُ وتُغْلِظُ عليهِ! ثُمَّ قالَتْ: يا عُمَر! عَهدتُكَ وأَنتَ تُسَمَّىٰ عُمَيْراً ،

وأَنتَ فِي سُوقِ عُكَاظ تَرْعَى الغَنَمَ بِعَصَاكَ ، فَلَمْ تَذْهَبِ الأَيّامُ حتَّىٰ سُمِّيتَ عُمَر ، ثُمَّ لَمْ تَذْهَب الأَيَّامُ حَتَّى سُمِّيتَ أَمِيرَ المُؤمنين ، فاتَّقِ الله في الرَّعيَّةِ ، واعْلَمْ أَنَّ مَنْ خافَ الوَعِيدَ قَرُبَ عَليهِ البَعيدُ، ومَنْ خافَ المَوْت خَشِيَ الفَوْتَ.

فقال الجَارُودَ: وَيْحَكِ ، لَقْد أَكْثَرْتِ على أَمِيْرِ المُؤمنين.

فقال عُمَرْ: دَعْها ، أَوَ تَدْرِي مَنْ هذِهِ؟ هَذِهِ امرأَةٌ سَمِعَ اللهُ شَكْوَاهَا مِنْ فَوقِ سَبعِ سَمَوَاتٍ ، أَيَسْمَعُ رَبُّ العَالَمِينَ قَوْلَها ولا يَسْمَعُهُ عُمَرُ؟!!

وآخِرُ دعوانا أَن الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالمينَ